الأخلاق التطبيقية
عند إيمانويل ليفيناس

الأستاذة: سنوسي فضيلة

من المشاكل والمظاهر السلبية التي يعاني منها الإنسان منها اليوم، مظاهر العنف بكل أنواعه، وكذلك الشعور بالاغتراب اتجاه الذات، وعدم الانسجام مع الآخر المغاير للذات، وتغييب الجانب الإنساني في الإنسان. لذلك عُدت العلاقة بين الأنا والآخر من أهم القضايا التي شغلت بال عدد كبير من الفلاسفة، من أجل إعادة التأسيس لها على أسس إتيقية وقيم إنسانية، ولو أن هناك من اعتبر أن الصراع بين الأنا والآخر؛ هو عنف أصلي تكويني بنيوي، وهذا ما يشير إليه "جون بول سارتر" حيث ذهب إلى التأكيد على أن:" إن وُجدت علاقة عدمية بين الأنا والآخر، فإنه لا يمكنه أن يؤثر في وجودي، وبما أنني محكوم بالحرية فالغير يُشكل هاجسا وعائقا يجب تجاوزه، وتحديه، لبسط حريتي ووجودي". وعليه، الأنا في نظر "سارتر" دوما في مواجهة مستمرة مع الغير لكن هذه المواجهة لا تفضي إلى نفي الآخر، إنما الاعتراف به. أما "فردريك هيغل"، فقد أشار إلى أن الصراع بين الأنا والآخر حتمي، وقد قام التحدي من أجل التحرر، وبيّن من خلال جدلية العبد والسيد، أن كل منهما يحاول إثبات وجوده والسيطرة على الآخر، وفي نفس الوقت التحرر والتخلص من سلطة الآخر.

ولكن "إيمانويل ليفيناس" سيؤسس لأخلاق جديدة مناهضة للكليانية والأحادية، وسيعيد الاعتبار لجملة من المفاهيم، أو القيم الأخلاقية المهمشة والتي في حقيقة الأمر هي تعبر عن الجانب الإنساني في الإنسان، والذي لا ينبغي تغييبه من هذه المفاهيم التي أحياها "ليفيناس"، منها (الصداقة، المحبة، العطاء، الغفران، الطيبة... الخ). فخالف بذلك نظرة "هايدجر" للإنسان وأسس للعلاقة بين الأنا والآخر لا على أساس أنطولوجي، وإنما على أساس إتيقي إنساني (نزعة إنسانية)، منتقلا بذلك من الذات والوجود إلى الاهتمام بالغير، ومن الأنانية إلى الاجتماعية ومن العزلة إلى التواصل، وانتقد الميتافيزيقا التي دمجت

كل شيء ضمن دائرة المعرفة الموضوعية، وهمّشت الذات والآخر، مما دفع "ليفيناس" إلى الاهتمام بالعلاقة الأخلاقية بين المخلوقات.
رغم أن "ليفيناس" متأثر بفلسفة "هايدجر"، إلا أنه ينتقد هذا الأخير كونه اهتم بالوجود على حساب الموجود، وقد نشر "ليفيناس" مقالا عام 1934 بعنوان (*L'évasion*)، يوجه من خلاله نقدا للأنطولوجيا الهيدجرية بصفة خاصة، والأنطولوجية الغربية بصفة عامة، إذ يقول في هذا المقال:"... الذات منسحقة من طرف الوجود وبقاءها في خدمة النسق، ولاكتشاف فظاعة الممارسات اللاإنسانية التي يحملها التاريخ إلى الناس، وسبب هذه الفظاعة هو ما يحمله الإنسان من كره وحقد على الإنسان الآخر، وتفشي النزعات العنصرية التي تعتمد على مبادئ الإقصاء والتمركز على الذات واستئصال المخالفين وتصفيتهم جسديا ومعنويا"[1].

وكما أشرنا سابقا، فإن "ليفيناس" يؤكد أن الأنطولوجيا الغربية هي المسؤولة عن جعل الذات تتمركز حول نفسها، وهي المسؤولة عن جعل الأنا تسعى إلى إقصاء الآخر، وهي المسؤولة أيضا عن ظهور قيم لا إنسانية مثل (الكره، الحقد، العنف، الحروب، العنصرية.. . الخ)، وعلى عكس "هيدجر"، يعتبر "ليفيناس" أن مهمة الفلسفة ليست بناء المعرفة الأنطولوجية، وإنما مهمتها أخلاقية، وقد أشار إلى هذا في قوله:" إنني أقر على عكس هيدجر بأن الفلسفة يمكنها أن تكون أخلاقية مثلما يمكنها أن تكون أنطولوجية، يمكنها في عملية الاستلهام أن تكون يونانية، وغير يونانية في نفس الوقت وهذان المصدران للإلهام يتعايشان من داخل الفلسفة الحديثة لهذا فإن هدفي الخاص يتمثل في التعرف على هذين المصدرين للمعنى داخل العلاقة التفاعلية الإنسانية"[2].

وعليه فإن مهم الفلسفة في نظر "ليفيناس" هي فهم معنى العلاقة مع الآخر كقاعدة أساسية لكل علاقة الآخر مع الإنسان، ومثلما انتقد أنطولوجيا "هايدجر"، انتقد أيضا ظواهرية "هورسل" كونها فلسفة قائمة على ذاتية وفردية حرة، وكونها تختزل الآخر وتُقصيه – فالفلسفة

---

(1) – مقال/ زهير الخويلدي، فيلسوف الغيرية: الأنا والآخر وجها لوجه، مجلة العرب الأسبوعي (السبت 2007/12/15، ركن أفكار وقضايا)، ص 10.

(2) – ترجمة إدريس كثير وعز الدين الخطابي (مدخل على فلسفة إيمانويل ليفيناس – من الفينومولوجيا إلى الإتيقا- إنسانية الإنسان، الحرب والعنف المدني، والإيتيقا، الموت، من أجل الآخر، الوعي غير القصدي.. .)، الطبعة الأولى، 2003، منشورات اختلاف، ص. ب 4407، الصخيرات، 12050، المغرب، ص14.

الميتافيزيقية- في اعتقاده صهرت الآخر في الذات وأقصت الكثرة، وأهملت الغير. لذلك أسس "ليفيناس" لأخلاق جديدة تختلف عن التأسيس الذي وضعه الفلاسفة، اهتم بالآخر وكانت إيتيقاه لا تمجد الأحادية والفردانية كما فعلت الفلسفات الغربية، بل تقف ضدها.

فها هي الأس الإيتيقية التي أسس من خلالها "ليفيناس" علاقة الأنا بالآخر؟ وهل كانت له في ذلك مرجعية دينية أو فلسفية انطلق منها؟

معلوم أن "ليفيناس" يهودي الأصل، وقد درس التوراة والتلمود، وله كتاب بعنوان (دراسة التلمود)، ويذكر أنه تأثر بالنصوص التوراتية والتلمودية، فالتلمود يُعد أهم الكتب الدينية وأقدسها عند اليهود، فهو التناح الأساسي للشريعة الشفوية، أي تفسير الحاخامات للشريعة المكتوبة (التوراة)، ويتألف التلمود من مكونين رئيسيين هما: المشناه والجمارا، أما المشناه فهي أول مجموعة مكونة من الشريعة الشفوية للدين اليهودي، أما الجمارا فهي نقاش حول المشناه[1].

والجدير بالذكر أن اليهود يعتبرون التلمود أهم من التوراة، وقد أشار الدكتور "عبد الوهاب المسيري" في موسوعته إلى مكانة وأهمية التلمود عند اليهود في قوله:" كما أن أثره واضح في قوانين الأحوال الشخصية في إسرائيل، فالتشريعات التي تضبط قضايا الزواج والطلاق فيها تختلف عن الأحكام التلمودية الواردة في أسفار سدر ناشيم، وفي شؤون الطلاق، لا يزال سفر جيطين المصدر الأساسي للأحكام المتعلقة بوثيقة الطلاق (جيط) التي كتبها الزوج. وفي مسائل الزواج، وتسجيل المواليد، لا تزال أحكام الشريعة التي حددها التلمود هي الشريعة السائدة[2].

وتوجد في التلمود نصوصا تدعوا على ضرورة تواصل الأنا بالآخر وضرورة احترامه، كما توجد نصوص توراتية تدعوا إلى ذلك منها الوصايا الموجهة للإنسان اليهودي مثل:

أكرم أباك، وأمك، لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك.

لا تقتل لا تزن لا تسرق لا تشتهي امرأة غيرك لا تشتهي بيت قريبك ولاح قله ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا مما لقريبك.

---

(1) – أحمد إيبش: التلمود كتاب اليهود المقدس (تاريخه، وتعاليمه ومقتطفات من نصوصه)، قدم له: أ. د سهيل زكار، دار قتيبة، ص25.

(2) – د/عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، الجزء الخامس، الباب السادس، نسخة، ص96.

هي وصايا تدعوا على تعامل الأنا مع الآخر، تعامل قائم على قيم أخلاقية، وعلى الاحترام والاعتراف بوجوده، وقد تأثر "إيمانويل ليفيناس" بهذه النصوص التوراتية والتلمودية في حديثه عن العلاقة بين الأنا والآخر، ولكن وجب الإشارة إلى أن الآخر الذي تقصده التوراة والتلمود هو اليهودي، أي تعامل اليهودي مع اليهودي، لأنه في المعتقدات اليهودية يوجد الإيمان بفكرة شعب الله المختار، وبفكرة أنهم مخلوقين (اليهود) من مادة مقدسة وأن الأغيار (الغوييم أو الشعوب الأخرى مخلوقة من مادة مدنسة فلا يجب لليهودي الاختلاط بالأغيار، وهناك نصوص تغذي هذه الأفكار؛ وهي نصوص تدعوا إلى إقصاء الآخر (غير اليهودي). لذلك نتساءل من هو الآخر الذي يتحدث عنه إيمانويل ليفيناس؟

يؤسس "ليفيناس" للنزعة الإنسانية من خلال شعور الأنا بالمسؤولية اتجاه الآخر، فمثلما يشعر الإله بالمسؤولية اتجاه اليهود شعبه المختار، فإن الأنا يجب أن تشعر بمسؤوليتها اتجاه الآخر، إذ هناك دوما في اليهودية الأنا والأنت، وطرف ثالث هو الإله المساوي للإنسان اليهودي، ويدعو "ليفيناس" في فلسفته الأخلاقية إلى ضرورة مد جسور التواصل والتصافي بين الذوات والأمم ولأجل بناء الهوية الإنسانية الكونية التي تحمي مسؤولية المحافظة على الحياة الأرضية وتحقيق وصية الاستخلاف، والائتمان والتعمير[1].

كما يؤكد "ليفيناس" على أن العلاقة التي تربط الذات بالآخر يجب أن تؤسس على الطيبة، أن تكون طيبا هو أن تكون للآخر، ويُعرفها بأنها التعالي بذاته في مغامرة مطلقة وبتهور أصلي بمعنى للآخر حقوق وامتيازات لذا وجب علينا احترامه ومحبته، والتعامل معه أخلاقيا وإنسانيا، تلك هي مسؤوليتنا الأخلاقية اتجاهه، فالطيبة كما يقول "ليفيناس" هي: "اعتبار الآخر أهم من الذات"[1]، والطيبة هي التعالي عينه، تعالي ذات تستطيع وحدها أن تستجيب لأمر الوجه[2]، وتظهر هذه الطيبة على هيئة خدمة وضيافة ومن ثمة فإن العلاقة بين الذات والآخر كخدمة وضيافة، كما تتجلى الطيبة أيضا من خلال اللغة التي

(1) – زهير خويلدي: مصدر سابق، ص10.

(1) - Emmanuel L'evinas: totalité et l'infini essai sur l'extériorité, Paris livre de poche, biblio essais, 1992, P:277 .

(2)– Levinas: éthique et infini, Fayard, Paris, P:282 .

تجعل الذات تنفتح على الآخر، وفي هذا الانفتاح تكون الذات مضيافة، إذ يستعين كل من الأنا والآخر باللغة للتواصل والتحاور ومن ثمة يُعرف بنفسه للآخر دون اللجوء إلى العنف في إثبات الوجود، فاللغة شرط للوعي بالغير أو الآخر، كما تظهر الطيبة أيضا في العلاقة الإيروسية التي تجمع بين الذات والآخر وهي تعني العطاء دون عوض أو مقابل، هي علاقة تجعل الأنا يشعر بالمسؤولية اتجاه الآخر، وتؤسس لمعنى الإنسانية؛ إنسانية الإنسان الآخر. ونجد "إيمانويل ليفيناس" في حديثه عن العطاء دون مقابل متأثرا بالفكر القبالي، وهو مذهب صوفي باطني يهودي، حيث يشير الدكتور "ميخائيل لأيتمان" في كتابه (من الفوضى إلى الانسجام) أن القبالة تدعو إلى تطبيق مبدأ الإيثار في علاقة الأنا بالآخر، لأنه مبدأ طبيعي يسر على كل عناصر الطبيعة بين النباتات والحيوانات، وفي هذا يقول "ميخائيل لآيتمان":" الحكمة القبالية لا تطالب من الإنسان كبت الدوافع الأنانية الطبيعية التي وُلدت معه، بل العكس هي تعترف بها وتشرح للإنسان كيف يستخدمها بطريقة صحيحة ونافعة حتى يصل إلى الكمال، وفي أثناء تطور الإنسان يطلب تركيب جميع المعطيات والميول الموجودة بداخله بطريقة صحيحة ومنسجمة وتكريسها لعملية التطور، فعلى سبيل المثال تؤول القبالة الحكمة التي تقول: الغيرة والشهوة وحب الاحترام تخرج الإنسان من العالم تؤولها على أن الغيرة والشهوة وحب الاحترام تخرج الإنسان من عالمنا إلى عالم أسمى إلى طبقة أعلى في الطبيعة، ولكن لا يتم ذلك إلا بتوجيه الميول الطبيعية إلى اتجاه إيجابي ونافع بحيث تدفع بنا إلى الحصول على التوازن مع قوة الطبيعة الإيثارية"[3].

كما يؤكد "ليفيناس" أن الأنطلوجيا الهيدجرية في قيامها على مفهوم الكلية والماهية أدت إلى العنف لأن الهوية تثبت ذاتها في حياة الأفراد وصراعهم من أجل الوجود الحيوي[1]، كما أنها أفضت إلى الحرية التي تقصي الآخر من أجل إثبات الذات، فالإنسان الغربي يبحث عن الحرية حتى أصبح العصر الحديث عالما لا قانون له، معاديا للإنسان، خاليا من المسؤولية (أحريوت) أما اليهودية – فيما يقول ليفيناس- فهي على النقيض من ذلك فالحرية فيها هي حرية صعبة المنال، إذ أن اليهودي يكتسب حريته بأن يعيش تحت نير الشريعة، الأمر الذي

(3) – ميخائيل لآتيمان: من الفوضى إلى الانسجام (الكتاب مترجم من طرفه إلى اللغة العربية)، pdf، ص56.

(1)– Levinas: entre nous B. essais sur le penser à l'autre ligure grasset, 1991, P:169.

يتطلب منه الإحساس بالمسؤولية الأخلاقية والاجتماعية واليهودية – حسب تصوره- "تستند إلى استحالة رد الإنسان إلى ما هو دونه وتصر على تفوق الإنسان على الكون، فاليهودية كما يشير "ليفيناس" هي الإنسانية والحرية التي تنادي بها هي حرية تستند إلى الإحساس بالمسؤولية"[2].

وإن كانت اللغة أداة تواصل وتعبير يستعين بها الأنا في معرفة الآخر، فإن الجسد لغته أيضا، حيث يتحدث "ليفيناس" عن ظواهرية الجسد أو بالأخص ظواهرية الوجه، إذ أن علاقة الأنا بالآخر تتحدد من خلال الوجه، ويؤكد أننا لا نتواجد في إطار منفرد بل نحن محاطين بأناس وأشياء، نكوّن معها علاقات، بالنظر واللمس وبالمعاملة الطيبة والعمل المشترك، فأنا ألمس شيئا، وأرى الآخر، لكنني لست الآخر، وهذا الأخير يكون اللاأنا، وهو لا يكون كذلك بالنظر إلى ملامحه فقط بل بالنظر إلى ما يكون فإن كان هو الضعيف الفقير، فأنا يمكن أن أكون غنيا قويا. أما عن دور الوجه في معرفة الآخر فإن "ليفيناس" يُطلق عليها اسم تجربة الوجه (*L'expérience du Visage*)، ويعتبره أداة اللقاء إذ يقول: "الكائن هو الإنسان ذاك الذي لا يكون لقاؤه متاحا إلا من جهة ما هو وجه"[3].

ولكن هل يقصد ليفيناس بالوجه، العضو من الجسم أم يقصد به شيء آخر؟ وما علاقته بموضوع الأخلاق؟
لا يقصد "ليفيناس" الوجه العضو، بل الجسد كله، فالوجه – فيما يذكر ليفيناس- يعبر عن هشاشة الآخر، وهي هشاشة تتمثل في العوز والوهن والقابلية للموت، ويسمي "ليفيناس" هذه الهشاشة بـــ (العري *La Mudité*)، ويذكر في قوله:" أن الوجه يعرض في تعريه عوز الفقير والغريب، غير أن هذا الفقر وهذه الغربة؛ اللذان يستدعيان قدراتي، ويقصداننني، ولا يلجآن إلى هذه القدرات كمعطيات، هما تعبير الوجه ذاته"[1]. إن الوجه - كما يؤكد ليفيناس- هو أكثر الأشياء عريا في الآخر، وفهم الآخر لا يكون ممكنا إلا من خلال هذا العري، فالوجه

(2) – د/عبد الوهاب المسيري: مصدر سابق، ص341.
(3)– Levinas: totalité et infini, P:188 .
(1)– Levinas: totalité et infini, P:188

يعرض ذاته ويظهر للعيان جليا انطلاقا من ذاته وغيريته مصدرها وحدانيته، إنه يمثل آخر غير قابل للمقارنة.
ويؤكد "ليفيناس" أننا تجربة إيتيقية في العلاقة مع الآخر، تجربة قوامها التعالي والطيبة والمسؤولية، وهذه الأخيرة علاقة أخلاقية تقوم بها الذات من أجل الآخر. ويوضح "ليفيناس" هذا في قوله:" يُفهم قرب الغير على أنه قريب مني بالأساس، لكوني أشعر بما أنني موجود بأنني مسؤول عنه، إن بنية هذه العلاقة لا تشبه العلاقة القصدية التي نكونها في مجال المعرفة مع موضوع ما، أيا كان هذا الموضوع، حتى وإن كان إنسانيا، فليس مَرَدّ القرب هو كوني أعرف الغير لأن الرابط الذي يربطني به لا يتحقق إلا كمسؤولية سواء قُبلت أو رُفضت، سواء عرفنا كيف نتحمل مسؤوليتها أو لا، سواء استطعنا القيام بشيء ملموس تجاه الغير أو لم نستطع ذلك"[2]. فالمسؤولية هي التي تدفعني إلى الاعتراف بالآخر وقبوله وعدم قتله، " فالوجه هو ما لا نستطيع قتله، أو هو على الأقل ما يقول معناه (لا تقتل أبدا)، صحيح أن القتل فعل مذموم وباستطاعتنا قتل الآخر، لأن تحريم القتل لا يجعل الفتل مستحيلا حتى ولو كان الضمير الصالح هو السلطة التي ترحم القتل"[3]. ولكن الوجه بما يحمله من دلالات، عن الفقر والعوز والفاقة يشل الأيدي التي تحمل السلاح، وتكبح إرادة الشر، ويظل الآخر يقاومنا بوجهه هذا اللامتناهي هو وجه الكلمة الأولى أن (لا تقتل)، الوجه هو التعبير الأصلي وهو الذي يقيد العنف ويؤسس للأخلاق[4].
وقد ذكرنا سابقا أن "ليفيناس" متأثر بالديانة اليهودية، وبالنصوص التوراتية والوصايا، ومن أهم الوصايا الموجودة بالتوراة:" لا تقتل".

لذلك نجد "ليفيناس" يركز على فكرة استبعاد قتل الآخر، لأن القتل مستحيل إيتيقيا، فمسؤولية الذات نحو الغير أو الآخر تلزمها بالاعتراف بوجوده، والتحاور معه وعدم إقصاءه وعدم قتله، وإن تطلب الأمر التضحية من أجل بقاء الآخر، وإن كان من الإنساني أن نحب الآخر ونعترف بوجوده، ونتضامن مع الفقير ونتعامل مع الآخر وفق مبادئ الرحمة والعدالة والاحترام، فإنه من الضروري أن تتجسد هذه

(2)- Levinas: éthique et infini, Fayard, Paris, P:103 .
(3)– op-cit, P:81
(4)– op-cit, P:223 .

الإنسانية في تعامل الرجل مع المرأة وهي العلاقة الإيروسية أو البحث المتنوع عن الإثارة الجنسية، وإن كان "ليفيناس" يأمل في علاقات اجتماعية قائمة على الصداقة والوحدة والتقارب من خلال اللقاء المباشر مع الآخر، فإن العلاقة الإيروسية تتوجه نحو التلذذ، مما يجعلها تؤدي إلى التباعد وبمجيء الأولاد يزيد الانفصال، " فالإيروس يذهب إلى ما بعد الوجه لأنه يتوجه نحو الأعماق المجهولة لما ليس بعد والذي هو عدم وتافه ومخالف للقانون".

فكيف يتعامل الرجل مع المرأة؟ وكيف يتمكن من فهمها؟ وما هي شروط نجاح العلاقة الإيروسية في نظر ليفيناس؟ وهل يتوقف هذا النجاح على إشباع الرغبات الجنسية أم يتعدى ذلك إلى شروط إنسانية أخرى؟

يرى "ليفيناس" أنه لابد من إعادة النظر في طريقة التعامل مع المرأة، مؤكدا أن سبب فشل العلاقة الإيروسية بين الرجل والمرأة؛ يعود إلى عدة عوامل منها: غياب المقصد، حيث يُنظر إلى المرأة كجسد وليس كروح فيغلب جانب اللذة والمتعة على الجانب الروحي وغياب الحب، وكذلك غياب الاحترام حيث أن العلاقة الإيروسية هدفها التلذذ، مما ينجم عنه تباعد الطرفين، كذلك عدم فهم جوهر الأنثى هو سبب من أسباب الإخفاق في التواصل الإنساني عبر الإيروس، فنحن ندرك المرأة ككائن، كجسد، ولكن لا ندرك بعدها الميتافيزيقي والغيبي.

يقول "ليفيناس": "إن ما هو مهم بالنسبة لي فيما يتعلق بمفهوم الأنثى ليس فقط غير المعروف، ولكن طريقة الوجود المتمثلة في الهروب من النور، فالمرأة في الوجود هي حدث مختلف عن التعالي الفضائي وعن التعبير المتجهان نحو النور. إن طريقة وجود الأنثى تتمثل في الاختباء، وكونها تختبئ هو بالضبط الحشمة... والآخر ليس كائنا نلقاه ويريد الاستحواذ علينا... الغيرية هي التي تصنع كل قوتها وسرها يشكل غيريتها"[1]، فالأنثى وجودها لا يتحقق في التعالي نحو النور بل في الاحتشام، "إن تعالي الأنثى يتمثل في الانسحاب إلى مكان آخر، فهي مناقضة للوعي ولكن لا يعن ذلك أنها لا شعورية بل هي سرا غيبيا مما يجعل تلك العلاقة ميتافيزيقية، فعلم النفس فسر العلاقة

(1)- E. Levinas: le temps et l'autre, quadrige/PUF, 1983, PP:77-84 .

الإيروسية تفسيرا سطحيا إذ اعتبر اللذة غاية الطرفين، ولم يتطرق إلى ذلك السر الكامن فيها"[2].

وفي التقاليد القبالية لا يتم الخلاص إلا إذا حل الإله في الإنسان والطبيعة، واتحدت روح الابن بالشخيناه، وبعد ما يسكن اليهود الأرض الموعودة يتم الخلاص، فالأرض هي السكن وهي الموطن الذي يجمع شتات اليهود، وبدلا من الفصل بين الذكر والأنثى التي تمثل الآخر بالنسبة للرجل يجب الربط بينهما، لذلك يقول "ليفيناس":" إذا كانت المرأة تكمل الرجل فإنها لا تكمله كجانب يكمل آخر في الكون لكن كما كان المجموعتين يكملان بعضهما البعض والتي هي بعد كل شيء معجزة العلاقات الاجتماعية"[3].

وينتقل "ليفيناس" إلى الحديث عن وجه آخر من العلاقة بين الذات والآخر، بعدما تحدث عن العلاقة بين الرجل والأنثى، إنها علاقة الطفل بالأبوة وهنا نجده متأثرا بالمسيحية التي تقول بحلول روح الإله في المسيح (المشاركة بين الإله والإنسان)، والابن عند "ليفيناس" هو في نفس الوقت إمكانية من الأنا وإمكانية من الآخر، إنه مستقبل العلاقة بين الرجل والأنثى، وهي علاقة مع غيب يظل بأكمله آخر، فالعلاقة بين الابن والأب تكون من خلال تجربة الخصوبة التي تسمح لكل واحد أن يكون نفسه والشيء الأساسي في هذه العلاقات هي الحب، إن الطفل عند "ليفيناس" هو في نفس الوقت إمكانية من الأنا وإمكانية من الآخر، إنه يتجاوز قدرة المحب والمحبوب على المستقبل، " فالطفل هو الآخر وهو مستقبل العلاقة بين المحب والمحبوب، وهذه الأبوة هي علاقة مع غيب يظل بأكمله آخر، فالطفل لا يكون ابني إلا من جهة المولد أما بعد ذلك يصبح غريبا بالنسبة إلي، فهو ليس ملكي بل تتبلور علاقة خارجية من خلال تجربة الخصوبة التي تسمح لكل واحد أن يكون نفسه ويوجد الآخر في نفس الوقت"[1].

وبصفة عامة؛ فإن "ليفيناس" حينما يتحدث عن العلاقة بين الأنا والآخر يؤكد على ضرورة أن تكون علاقة إيتيقية تعترف الأنا بوجود الآخر

---

(2)- op-cit, PP. 77-84 .

(3)– Levinas: judaism and the feminine difficults, Freedong: essays of Judaism trans hand- London, tholone, 1990, pdf, P:54 .

(1) – د/زهير الخويلدي: معان فلسفية/فلسفة، دار الفرقد، سوريا، دمشق، الطبعة الأولى، 2009، ص34.

وتضحي لأجل الحفاظ على حياته، وقد ذكرنا أن "ليفيناس" تأثر بالديانة اليهودية فدرس التلمود وفسّر التوراة، وقد وُجد حديث عن العلاقة بين الأنا والآخر في النصوص التوراتية تدعوا إلى احترام الآخر ومعاملته معاملة إنسانية، ولكن هذه النصوص وجُهت توجيها إيديولوجيا حيث أصبح الأمر مقتصرا على احترام اليهودي لأخيه اليهودي، أما الغوييم (أو الأغيار) فيحق لليهودي أن لا يحترمهم لأنهم مخلوقين من مادة مدنسة، واليهود مخلوقين من مادة مقدسة، إذ أن روح الله حالّة في شعبه المختار، وفي سفر التثنية الإصحاح 7:6 إشارة إلى قداسة الشعب اليهودي:" لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا أحظى من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض"، وفي نقس السفر الإصحاح 14:1، 2 نجد هذا النص التوراتي:" أنتم أولاد للرب إلهكم لا تخمشو أجسامكم ولا تجعلوا فرعة بين أعينكم لأجل ميت لأنكم شعب مقدس للرب". وهناك نصوص توراتية وتلمودية تحدثت عن العلاقة بين الأنا والآخر في شكل وصايا، بعضها تلزم اليهودي على ضرورة معاملة الآخر معاملة إنسانية، والبعض منها تخلق فجوة بين اليهودي والأغيار، واعتراف "ليفيناس" بأنه متأثر بالديانة اليهودية وكذلك مطالعته لتأويلات حاييم فولوزنار المتحررة للتوراة، والذي قال "ليفيناس" عنه أن كتابه هو الكلمات الأولى التي ينبغي أن يصرح بها من اجل أن يكون للحياة الإنسانية معنى، وكذلك دراسة "ليفيناس" للتلمود كل هذا يجعلنا نتساءل: من هو الآخر عند ليفيناس؟ وهل يمكن تطبيق نزعته الإنسانية على أرض الواقع؟

يجيبنا "ليفيناس" عن السؤال الثاني بقوله:".. إنها علاقة اجتماعية طوباوية ومع ذلك فهي تأمر الإنسانية فينا"[2]، وربما يكون سبب طوباويتها هو عدم استجابة الإنسان لما هو إنساني خاصة وأننا في زمن تغلب فيه المصالح الخاصة على المصالح العامة، زمن يطغى فيه الجانب المادي على الجانب الروحي، زمن أصبحت فيه الأنا عاجزة عن إدراك ذاتها، وإدراك الآخر.

(2)– Levinas: hors sujet, fata morgana, 1987, P:251 .